

المستقبل للغة العربية الفصحى

الأستاذ هنري فليش
(جامعة بيرت)

(المتوفى سنة 177هـ) وهو تصنيف ينطوي على أهمية تصوى . فكل الأدب العربي الإسلامي قد كتب في هذه اللغة البيانية الخاضعة للتواعد ، والمثبقة ، ولكن مع بعض تنازلات توجب عليه مع الزمن ، ان يسلم بها اللسان العربي المتوسط . وكانت اللغة العامية وهي لغة حية ، تسير على سنتها الطبيعية : كانت تتطور . وما الوضع الحاضر سوى استمرار واتساع للوضع اللغوي الاول في عهد الخلفاء : لغة كتابية تقتصر على قواعد كتاب سيويه ولغة محكية عامية كثيرة التنوع . بعد قرون من تطور هذه اللغة الحية .

ولابد للعالم العربي الإسلامي الحاضر ، كسي يرى بجلاء في وضعه اللغوي ، من ان يعرف ما يلي : اولا ، انه يمكن العيش مع لغة كتابية للثقافة ولهجات متطورة ، ولنا مثل على ذلك من اللغة الألمانية . الا انه ينبغي له ان يسد نقصين خطيرين ، اولهما السعي ، على الأقل من اجل الاستعمال العام ، لاجاد وسيلة تتيح وضع علامة على الحروف الصوتية القصيرة في طريقة الكتابة العربية ، وثانيهما تجديد مبادئ الصرف والنحو القديمة والمعقدة والمستكرهة ، ثم ان اللغة العربية الفصحى الحديثة متأخرة عن زمانها ثلاثة قرون من الواجب اللحاق بها ، اجل ان هناك عملا قد تم . ولكن يقتضي هذه اللغة ان تتبع تطورا يكون كتطور جسم عضوي . ولا يمكن بلوغ الغرض الا بواسطة كتاب محدثين ، متشبعين من التقدمين ، بواسطة كتاب حقيقيين ، واسمعي الثقافة ، يتصورون عالمهم بلغة عربية فصحية صحيحة وحديثة . واخيرا ، ان المستقبل هو للغة العربية الفصحى الحديثة ، ذلك لان ما للغة الادبية من نفوذ بعيد المدى يقطع الطريق ، الآن والى امد طويل ، على كل محاولة ترمي الى اقامة لهجة ثقافية باللغة العامية . وليس بمجرد ان تحتقر اللهجات التي هي من جهة اخرى ، مصدر تعاليم لغوية .

اهدتنا المطبعة الكاثوليكية ببيروت كتبا قيبا
للاستاذ المستعرب هنري فليش Henri Fleisch
بالفرنسية حول اللغة الفصحى واللغة العامية ،
نقتبس منه مقدمته شاكرين للاستاذ الكريم دفاعه
عن لغة الضاد التي هي القوم الجوهري لوحدة
الشعوب العربية في الحقل الثقافي :
وقد أرفق سيادته هذا البحث بمنكرة حل فيها
اسئلة الاستفتاء :
قال سيادته :

ان الموقف العام الذي يتخذه العالم العربي الإسلامي حيال لهجات بلدانه يتضح كما يلي :
فهذا العالم ليس بمطلع على الامر اطلاعا صحيحا اذ
انه لا يعرف ما المقصود بلهجة وما المقصود بلغة
عامة . كما يجهل الدور الذي اضطلعت به اللهجة
واللغة العامية في حياة العرب .

وعليه ، نرى صاحب المقال يعرض اولا مفاهيم
علم اللغة العام حول هذين الوضعين من اللغة :
اللهجة ، وهي الحالة الطبيعية للغة ما ، واللغة العامية
التي هي امتداد ونمو لهجة فوق اللهجات الاخرى ،
بفضل ظروف خاصة ، لتحل محل لغة علاقة وثقافة ،
وكل ذلك معزز بمثل اربع من اللغات الاوربية الكبرى .
ثم انه يبحث اثر اللهجة واللغة العامية في ثلاثة اوضاع
تاريخية كبرى من حياة العرب اللغوية .
وضع اول : الحالة اللغوية في الجزيرة العربية ،
على ايام الجاهلية .

فنجده لغة عامة للشعر واللهجات .
وضع ثان : المشاكل اللغوية التي اعترضت
العالم العربي الإسلامي ، مباشرة بعد الفتوحات
العظيمة ، حتى منذ موت الخليفة عمر بن الخطاب
(24هـ - 644م) . فتحقق منذ هذا التاريخ فقدان
الاعراب في كلام المستعربين ، مما يشكل بداية اللغة
العامية والضرورة الحيوية لمبادئ في الصرف والنحو .
وضع ثالث : ارساء اللغة الادبية على القواعد
بفضل جهود النحاة . ويفصح عن ذلك كتاب سيويه

عشر في واجهات الكنائس الرومية ثم رأيناها فيما بعد تختلط في الكنائس الغوطية مع العناصر الواردة من فرنسة .

ويوضح هذا القول ما نراه في واجهة كاتدرائية انغوليم في فرنسا حيث نرى تمثال المسيح وحوله أسد مجنح مستوحى من الزخرفة النباتية في الفنون العربية، أما المسيح فإن أسلوبه شرقي محض .

وفي لانغدوك في ساحة مواسك اعادة مزدوجة كتلك الموجودة في الاندلس ذات تيجان مزخرفة برقش عربي وكتابات عربية بالخط الكوفي تعلو التاج ، ولكنها كتابات منقولة تصعب قراءتها وقد لا تكون لها دلالة قط .

وهكذا انتقل الحرف العربي الى اماكن متطرفة من العالم وتصدر واجهات الكنائس والاديرة، ولقد كانت صفاته الفنية كمنصر فذ من عناصر التزيين سبب انتقاله واحلاله المكانة اللائقة من التقدير ولم يحل مضمونه الديني المخالف دون استعارته في أهم الاعمال الفنية والآثار . واستمر ذلك ما بقيت تلك الآثار والاوابد قائمة مئات السنين ولم تستطع حتى العصبية المتزمتة ان تمحي آثاره مع الأيام .

ومنذ بداية القرن الماضي كان ثمة اهتمام من قبل الفنانين والمفكرين بالفن والرقش العربي .

وفي مستهل هذا القرن ، وقد بدت الامة العربية شيئا فشيئا أتمرد على التعبير عن نهضتها وتراثها ، اشدت الاهتمام بالعرب وآثارهم وتقاليدهم الفنية . وتركز هذا الاهتمام بالرقش العربي لقربته من مفهوم التجريدية التي سرت تقليدا فنيا قويا في هذا القرن .

مما لا شك فيه يبقى الحرف العربي من اجمل الصيغ المجردة خاصة بالنسبة لانسان لا يفقه دلالة هذا الحرف او ينسى هذه الدلالة لكي يستفيد من الشكل الجبالي للحرف .

وهكذا ظهر من الفنانين التجريديين المعاصرين في اوربا من استعمل الحرف العربي فكان مدرسة

مستقلة ذات اطار مستقل متميز ولقد تجلّى هذا الاتجاه قويا واضحا عند بول كلي P. Klee ونالارد Nallard وهوفر Hoeffler وديغوتكس Degottex وتروكس Trox ومانوسيه Manessier

أما اعمال كلي التي تتضمن نماذج عن الخط الجميل العربي او غيره من الخطوط فهي كثيرة وتمتاز بالتطوير والتحوير . ولقد استمر كلي الخط العربي الذي يكتب من اليمين الى اليسار (19) نظرا لان كلي كان اعسر بل كان يستطيع التصوير باليد اليسرى بنفس قوة اليد اليمنى ، وكان يطيب له ان يكتب جبلا برمتها باللغة العربية باشكال الخط العربي الجميل ولكن دون ان يكون بمقدوره قراءتها او فهمها مع انه حاول ان يتعلم العربية .

ولقد امتاز أسلوب لويس نالار (المولود في الجزائر عام 1918) باستعمال الكتابة العربية مع التصوير مستوحيا ذلك من الرقش العربي .

أما كارل جورج هوفر Hoeffler (المولود في سيليسيا عام 1914) فلقد جذبته رشامة الخط العربي وخاصة النسخي منه فأقام أسلوبه على اساس هذا الخط . وفي مدينة اوفنباخ في المانيا متحف للكتابة وحسن الخط ضم مجموعات رائعة للخطوط العربية الاثرية كما ضم بعض اعمال هوفر للمقارنة وتحديد التأثير العربي على أسلوبه .

ولم يقتصر الفنانون العرب الحديثون في الافادة من الحرف العربي في اعمالهم التصويرية الحديثة نذكر منهم ادهم اسماعيل ومحمود حماد وسامي برهان في القطر السوري وحامد عبد الله وسعد كامل من القطر المصري واحمد شبرين من القطر السوداني وغيرهم .

ولقد جال الحرف العربي في انحاء العالم مع لوحاتهم والتقى فيما التقى بالحرف العربي في مهاجرة على لوحات الفنانين المعارضين المعاصرين .

(19) انظر فيلكس كلي في كتابه — الكتابة والفن في اعمال بول كلي .